جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر

ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30 العدد: 01 السنة: 2025

مجلة المعيار
EL MIEYAR

أصول التربية عند الإمام ابن أبي جمرة الأندلسي من خلال شرحه بهجة النفوس

The principles of education according to Imam Ibn Abi Jamrah Al-Andalusi through his commentary on Bahjat Al-Nufus

فريدة تبوب[1]
teboub2025@gmail.com

مختار نصيرة[2]
necira03@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/05/24 تاريخ النشر: 2025/12/15
Received: 24/05/2025 published: 15/12/2025

ملخص المقال:

إن دراسة أصول التربية لدى علمائنا المسلمين، والتعرف على فكرهم التربوي والتعليمي، يمثل خطوة مهمة نحو بناء نظرية تربوية أصيلة تنبثق من فكرنا الإسلامي، وجاء هذا المقال للتعرف على أصول التربية عند ابن أبي جمرة وعلى أهم القواعد والمبادئ التربوية عنده، من خلال شرحه المسمى بهجة النفوس.

ودرسنا ذلك باستقراء شرح بهجة النفوس، وجمع النصوص التي تعبر عن الآراء التربوية والتعليمية لابن أبي جمرة، ثم فرزها وتصنيفها موضوعيا، ثم تحليل تلك الآراء، حيث تبين أن ابن أبي جمرة عند شرحه للحديث النبوي، يستنبط قواعد ومبادئ تربوية تعليمية هامة، وآدابا للمعلم والمتعلم، وطرقا وأساليب للتعليم، ووجدنا أن أصول التربية عنده تتعدد ومنها: الأصل العقدي، التعبدي، الأخلاقي، والعلمي.

كلمات مفتاحية: أصول، التربية، ابن أبي جمرة، بهجة النفوس، أصول التربية.

Abstract:

Studying the principles of education among our Muslim scholars, and getting acquainted with their educational and pedagogical thought, represents an important step towards building an authentic educational theory emanating from our Islamic thought. This article came to learn about the principles of education according to Ibn Abi Jamra and the most important educational rules and principles according to him, through his explanation called Bahjat al-Nufus.

We studied this by examining the explanation of Bahjat al-Nufus, collecting texts that express Ibn Abi Jamra's educational views, then sorting and classifying them thematically, and then analyzing those views. It became clear that when Ibn Abi Jamra explained the Prophetic Hadith, he derived important educational rules and principles, manners for the teacher and the learner, and methods and techniques for teaching. We found that the foundations of education according to him are multiple, including: the doctrinal, devotional, moral, and scientific foundations.

Keywords: *Principles; Education; Ibn Abi Jamrah; Bahjat al-Nufus; Principles of education*

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر).

(2) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر).

مقدّمة:

إن البحث في جهود علماء بلاد المغرب والأندلس وإبراز إسهاماتهم العلمية والفكرية أصبح ضرورة ملحة، لما قدموه من خدمة جليلة لكتاب الله وسنة نبيهم ﷺ، ومن بين هؤلاء الأعلام الإمام ابن أبي جمرة، الذي كانت له جهودا في خدمة القرآن الكريم بوضع تفسير له، وجهودا في خدمة السنة النبوية، حيث كان من الأوائل الذين اهتموا بصحيح البخاري، بوضع مختصر عليه سماه جمع النهاية في بدء الخير والغاية، ثم شرح هذا المختصر في كتابه بهجة النفوس، فبين فيه غريب الحديث ومعانيه وأحكامه وفقهه وجمع بين مختلفه...، واستنبط منه العديد من القواعد والأصول التربوية الهامة، والآداب والأساليب التعليمية النافعة، فجاء هذا المقال ليتناول بصورة دقيقة أصول التربية عند الإمام ابن أبي جمرة، من خلال شرحه بهجة النفوس.

إشكالية البحث:

مما سبق يمكن طرح السؤال الرئيسي وهو ماهي أصول التربية عند ابن أبي جمرة من خلال شرحه بهجة النفوس؟

ثم ما المقصود بأصول التربية؟ ومن هو ابن أبي جمرة؟ وما هو شرحه بهجة النفوس؟

أسباب الاختيار:

دفعني لاختيار هذا الموضوع للبحث عدة أسباب منها:

عدم وجود دراسة مفصلة تبرز أصول التربية عند ابن أبي جمرة من خلال شرحه بهجة النفوس.

الرغبة في معرفة بعض الآراء والقواعد التربوية والتعليمية لابن أبي جمرة، خاصة وأنه لم يفرد كتابا في ذلك.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى عدة أمور منها:

ضرورة البحث في الفكر التربوي لعلمائنا وبيان قواعدهم ومبادئهم التي أنتجوها ومنهم ابن أبي جمرة.

من خلال دراسة أصول التربية عند ابن أبي جمرة يمكن المساهمة بصفة عامة في التعرف على التربية وأصولها وأسسها والمساهمة في بناء فكر تربوي إسلامي أصيل.

المنهج المتبع:

تم اعتماد المنهج الاستقرائي التحليلي، باستقراء شرح بهجة النفوس بأجزائه الأربعة، وجمع المواضع والنصوص التي تعبر عن الآراء التربوية لابن أبي جمرة، ثم تصنيفها موضوعيا، ثم تحليل تلك الآراء للتعرف على أهم الأصول التربوية لابن أبي جمرة.

الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي لا توجد دراسة سابقة لموضوع أصول التربية عند ابن أبي جمرة.

المحاور الرئيسية للبحث:

تم تقسيم الدراسة إلى قسمين رئيسين هما: الجانب النظري للدراسة للتعريف بابن أبي جمرة، وشرحه بهجة النفوس، والتعريف بأصول التربية.

والقسم الثاني للدراسة التطبيقية لأصول التربية عند ابن أبي جمرة، وهي الأصل العقدي، التعبدي، الأخلاقي، والعلمي، وخاتمة فيها نتائج الدراسة.

القسم النظري: تعريفات.

1.2 تعريف الأصول:

لغة: الأُصُولُ جمع مفرده الأَصْلُ، ولها معاني متعددة وهي: أسفل الشيء وأساسه (الفيومي، صفحة 16/1)، قاعدته (الأصفهاني، 1991م، صفحة 79)، وجذره (عمر، 2008م، صفحة 100/1).

من خلال المعاني اللغوية فإن كلمة الأصل تعني أسفل الشيء، وجذره أي تدل على مبدأ الشيء ومنبعه، فأصل الشجرة أسفلها وأصل الشجرة أيضا جذورها، وتعني أيضا الأساس، والقاعدة، وهو ما يستند إليه الشيء، وما يبنى عليه غيره، فأصل الجدار هو أساسه، وأصل البناء هو قاعدته، وكلها تدل على القوة والرسوخ والثبات والإحكام.

اصطلاحا: عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره (الجرجاني، 1983م، صفحة 28).

2.2 تعريف التربية:

لغة: تحمل المشتقات اللغوية لكلمة تربية معاني متعددة ومنها: التنشئة (الأزهري، 2001م، صفحة 198/15)، الزيادة والنماء، الإصلاح، والتعليم (منظور، 1993م، الصفحات 1/400-401-402).

من خلال المعاني اللغوية فإن التربية تعني الزيادة والنماء، لأنها تنمي عدة جوانب في الانسان، كالجانب الأخلاقي، الجسدي، والعقلي، كما تعني الإصلاح لأنها تصلح ما يقع من انحرافات في هذه الجوانب وغيرها، وهي بمعنى التعليم، فمن خلال عملية التربية نتعلم الأخلاق، العبادات، التوحيد، والعلم...، وكل ذلك يصب في التربية الأخلاقية، التعبدية، العقدية، وكذا العلمية، والاجتماعية، فالتربية شاملة لجميع المعاني اللغوية التي وردت في معاجم اللغة العربية.

اصطلاحا: تعددت التعريفات الاصطلاحية للتربية من قبل المختصين، وذلك يعود إلى أن كل مختص يرى ويعرف العملية التربوية حسب فكره، وميوله الثقافي، وحسب رؤيته لأهداف التربية ووسائلها وطرقها، والسبب الثاني هو اختلاف الفترة الزمنية بين تعريف وآخر، فبين فترة زمنية وأخرى يتغير التعريف الاصطلاحي ودلالاته، ولعلنا نقتصر على ما جاء في كتاب المفردات أن التربية هي: "إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام" (الأصفهاني، 1991م، صفحة 336)، ويقصد بأن التربية هي تنشئة وتكوين الانسان تدريجيا مرحلة بعد مرحلة حتى يصبح متكاملا من جميع الجوانب النفسية، الأخلاقية، الروحية، الجسدية، التعبدية والاجتماعية.

3.2 تعريف أصول التربية: هي مجموع الأسس المستقاة من العلوم المختلفة المؤثرة بشكل فعال في التربية، والتي بدورها تنظم العملية التربوية، وتحقق الأهداف المرجوة منها في شتى مجالات الحياة (الحازمي، 1424هـ، صفحة 78).

4.2 التعريف بابن أبي جمرة: لم يحظ ابن أبي جمرة بترجمةٍ وافيةٍ، تشمل جميع جوانب حياته، وسنحاول جمع ما تفرق في ثنايا كتب التراجم من معلومات شِحيحةٍ عنه، مُستنجدين بما جاء عنه في كتاب المدخل لتلميذه ابن الحاج، وبشرح بهجة النفوس.

1.4.2 اسمه: هو أبو محمد عبد الله بن سعد بن أحمد بن أبي جَمْرَة الأَزْدِي الأَنْدَلُسي المرْسِي (الزركلي، 2002م، صفحة 89/4).

2.4.2 كنيته ولقبه: يُكَنى ابن أبي جمرة بأبي محمد (التنبكتي، 1989م، صفحة 216/1)، ولُقِّبَ بابن أبي جَمْرَة.

3.4.2 مولده: لم تؤرخ كتب التراجم لعام ولادته، لكن نُقِل أنه عاش طويلا وشاخ (الملقن، 1973م، صفحة 72) ، وبالنظر إلى سنة وفاة شيخه سهل بن محمد الغرناطي التي كانت سنة 640هـ، والذي أُمتحن وغُرب إلى مُرْسِية، فسكنها مدة ثم عاد إلى بلده غرناطة عندما هلك

الملك ابن هود "سنة 635هـ" (النبهاني، 1983م، صفحة 112)، فإن ذلك يدل أن ابن أبي جمرة أخذ عن شيخه سهل بمرسية، قبل عودته إلى غرناطة سنة 635هـ، فعلى ذلك يكون سنهُ سنة 635هـ على الأقل 15 سنة، وعلى الأكثر 35 سنة، ومنه فإنَّ مولده يكون ما بين سنتي600هـ و620هـ، والله تعالى أعلم.

4.4.2مصنفاته: تنوعت تصانيف ابن أبي جمرة ومنها: جمع النهاية في بدء الخير والغاية (الملقن، 1973م، صفحة 439)، بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها (سزكين، 1983م، صفحة 245/1)، المرائي الحسان (الزركلي، 2002م، صفحة 89/4)، تفسير: يعرف بتفسير ابن أبي جمرة (البابابي، 1402هـ، صفحة 240/1)، شرح حديث عبادة بن الصامت، تلخيص كتاب طبقات الحكماء، شرح حديث الإسراء (خليفة، 1941م، الصفحات 1040/2-1098)، شرح لحديث الإفك (البابابي، 1402هـ، صفحة 240/2)، ميمية في مدح صحيح البخاري (التراث، صفحة 874661/1)، كتاب الرأي (الفهرس، صفحة 97561/1)، نظم في ختم صحيح البخاري (الفهرس، صفحة 140/1)، رسالة بعنوان مقتضى وصفة جمع النهاية (حمادة، 2005م، صفحة 426/5)، كرامات: لابن أبي جمرة (التنبكتي، 1989م، صفحة 216).

5.4.2شيوخه: أخذ ابن أبي جمرة العلم على مجموعة من الأئمة، لكن كتب التراجم لم تسم لنا واحدا منهم، إلاَّ ما جاء في مقال حمادة فاروق، والمتتبع لكتاب المدخل لتلميذه ابن الحاج، يجد أنه سمى البعض منهم، وأشار إلى أنَّهم من شيوخه، وسمَّى البعض الآخر ولم يشر إلى أنهم من شيوخه، ومنهم: "أبو الحسن سهل بن محمد الأزدي الغرناطي، أحمد بن عثمان القيسي، أبو محمد الزواوي، أبو محمد المرجاني، أبو عبد الرحمن الصقلي، أبو علي بن السماط" (حمادة، 2005م، صفحة 426/5)، "أبو علي حسن الزبيدي، أبو الحسن الزيات" (الحاج، الصفحات 202/1-207).

6.4.2تلاميذه: بالرجوع إلى مصادر ترجمة ابن أبي جمرة، فإننا نجد أنها لم تَحفظ إلا أخص تلاميذه، الذين لازموه طويلا، وهما: محمد بن عيسى الحميري الصنهاجي الفاسي (حجر، 1930م، صفحة 62/2)، وابن الحاج محمد بن محمد العبدري الفاسي (الحاج، صفحة 4/1).

7.4.2وفاته: توفي في 19 من ذي القعدة (السيوطي، 1967م، صفحة 523/1)، ودُفِن بمصر بالقرافة (كثير، 1988م، صفحة 92/14)، والاختلاف في سنة وفاته بين ثلاث سنوات: "سنة 675هـ (الملقن، 1973م، صفحة 72)، 695هـ (العيني، 2010م، صفحة 299/1)، 699هـ (كحالة، صفحة 40/6).

5.2التعريف بكتاب بهجة النفوس: نَص ابن أبي جمرة على تسمية شرحه في مقدمته عليه وسماه: بَهْجَة النُّفُوس وتَحَليهَا بِمَعْرِفَةِ مَا لَهَا وَمَا عَليها، وهو شرح وضعه على مختصره لصحيح البخاري المسمى: جمع النهاية في بدء الخير والغاية، والذي بلغت أحاديثه مائتين وتسعة وسبعين حديثا، على اختلاف طفيف بين الطبعات، فبعد أن سَهّل على النّاس حفظ الأحاديث النبوية بمختصره، جاء الدور ليقرب معاني أحاديثه، فجعل كل حديث منه مقام باب، وطُبِعَ الشرح عدة مرات، منها: طبعة دار المكتبة التوفيقية، بالقاهرة، وهي المعتمدة في هذا البحث، وكان شرح بهجة النفوس موردا أساسيا لكثير ممن شرحوا صحيح البخاري بعد ابن أبي جمرة، ومنهم ابن حجر في شرحه فتح الباري، الذي كان يصفه بقوله:"الإمام القدوة أبو محمد ابن أبي جمرة" (حجر، 1380هـ، صفحة 13)، أو بقوله: "الشيخ أبو محمد ابن أبي جمرة" (حجر، 1390هـ، صفحة 60/1).

القسم التطبيقي: أصول التربية عند ابن أبي جمرة.

تتنوع أصول التربية عند ابن أبي جمرة وتتكامل مع بعضها البعض، فعلى الرغم من أنه لم يفرد كتابا في التربية، إلا أن شرحه بهجة النفوس يحمل في ثناياه آراء تربوية وتعليمية، فنجده يستنبط عند شرحه للأحاديث استنباطات تربوية وتعليمية دقيقة، توضح بشكل عام رؤيته في تربية النفس تربية متكاملة من الناحية النفسية والأخلاقية والتعبدية والعقدية والاجتماعية والعلمية، ونقتصر في هذا البحث على أربعة أصول وهي الأصل العقدي، التعبدي، الأخلاقي، والعلمي، ونكتفي بحديث نبوي واحد ونص واحد لابن أبي جمرة للتدليل على كل أصل تربوي أو تعليمي مستنبط من شرحه.

1.3 مسؤولية تربية الأولاد: يعد الزواج نقطة البدء في تكوين الأسرة، وصلاح الوالدين من أسباب صلاح الأبناء، فلهذا أكدت السنة النبوية على حسن اختيار الزوج والزوجة، وجعلت الدين والأخلاق هو المعيار الأول في ذلك.

وتربية الأبناء مسؤولية عظيمة، وإهمالها والتقصير فيها لا يكفره شيء من العبادات، قال ابن أبي جمرة:"هل يوفى لهم الحق الذي يجب لهم عليه أم لا لأنه راع عليهم ومسئول عن رعايتهم فإن لم يأت بالواجب منها فليس هذا مما يكفره فعل الطاعات" (جمرة، صفحة 233/1).

ولعظم مسؤولية تربية الأولاد جعل ابن أبي جمرة من شروط الزواج القدرة على القيام بحقوق الأولاد، فقال:"لكن بشرط أن يقدر على القيام بحقهم وإلا فلا يجوز له ذلك" (جمرة، صفحة 111/4).

ومن حقوق الأبناء على الآباء النفقة والكسوة والسكن، يقول ابن أبي جمرة:"فأما ما يجب على الرجل من الحق في زوجه وولده فمنه ما هو عند الناس كلهم عالمهم وجاهلهم معروف كالكسوة والنفقة والسكنى" (جمرة، صفحة 51/2)، ومن حقوقهم أيضا تعليمهم أمر دينهم، وإرشادهم وتوجيههم، وهو متأكد على النفقة والكسوة، فمن المعلوم أن حكم النفقة يسقط عن الوالدين بعسرهما، لكن التربية والتأديب لا يسقط بحال من الأحوال، يقول ابن أبي جمرة:"بدليل أن الكسوة والنفقة قد تسقط بالعسر، والإرشاد إلى الدين وتعليمه لا يسقط آكد" (جمرة، صفحة 51/2).

2.3 الأصل العقدي: إن العقيدة أو التوحيد هو الأصل الأول في تربية المسلم، فهو أول ما دعا إليه الأنبياء والرسل، وعلى هذه السنة جاءت بعثة الرسول ﷺ، إذ عنيت بعثته بالدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك، وما ذلك إلا لأهمية العقيدة وشدة الحاجة إليها، فمكث ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو إلى التوحيد ويربي أصحابه على العقيدة ويغرسها فيهم، قال ابن أبي جمرة:"والكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص وهي أسُّ الدين وبها قوامه، فكلمة الإخلاص في الإيمان كأصل الشجرة لا بد منه أولًا" (جمرة، صفحة 31/1).

وكانت بيعة الصحابة للنبي ﷺ على العقيدة أولا، يقول ابن أبي جمرة:"لأنه ﷺ طلب البيعة أولا على حقيقة التوحيد على أن لا يشركوا بالله شيئا" (جمرة، صفحة 67/1).

وجعل الرسول ﷺ الأصل العقدي هو الأصل الذي تبنى عليه بقية الأعمال، فلما سأله ﷺ وفد عبد القيس عن الأعمال التي تدخل الجنة، فكانت إجابته بكلمة التوحيد أولا، ثم أجابهم عن سؤالهم، **قَالَ**: (**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ**). **قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ**: (**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ**" (البخاري، 1993م، صفحة 45/1)، يقول ابن أبي جمرة:"سألوا عن الأعمال الموجبة لدخول الجنة فأمرهم ﷺ أولًا بالأصل الذي تترتب عليه الأعمال وهو الإيمان، ثم أجابهم بعد ذلك بالأربع" (جمرة، صفحة 120/1).

والعقيدة التي تستقر في القلب لا بد وأن تظهر في سلوك العبد، وأخلاقه وأفعاله، فإذا صلحت عقيدته وكانت صحيحة، فإنها تثمر بالصلاح على باطن العبد وظاهره، ولهذا شبه ابن أبي جمرة التوحيد بالنسبة للإيمان ككل بالشجرة وهي الأصل، والطاعات والعبادات بالزهر والأغصان، فيقول: "لأن الله عز وجل قد شبه الإيمان بالشجرة في كتابه حيث قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم:24-25]، وأغصان الشجرة في الإيمان عبارة عما تضمنته كلمة الإخلاص من اتباع الأمر واجتناب النهي، والزهر في الشجرة هو في الإيمان عبارة عما يحدث للمؤمن في باطنه من أفعال البر" (جمرة، صفحة 31/1).

ويرى ابن أبي جمرة أن التربية العقدية المترسخة تنبع منها التربية التعبدية والتربية الأخلاقية، فثمرة العقيدة الراسخة الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، فإن تزعزع الأصل العقدي اختلت معه الأخلاق والعبادات، فيقول:"فلم يبق معهم من صفة الإيمان في غالب أحوالهم إلا النطق بالكلمة، وما عداها من الأفعال بضد ما يقتضيه الإيمان، فبقي لهم الأصل وذهبت ثمرته التي هي الأعمال" (جمرة، صفحة 31/1).

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس عقيدة، كملت أخلاقهم وعبادتهم، واستقامت حياتهم كلها، يقول ابن أبي جمرة:"لأن من تقدم من السلف كان إيمانهم كاملا بتتبعهم للأمر والنهي، وحبهم لله ورسوله ﷺ، والنصيحة التي كانت بينهم، فكانت شجرة إيمانهم تناهت في الطيب والحلاوة" (جمرة، صفحة 32/1)، فبقدر كمال التربية العقدية، يكون الكمال في التربية الأخلاقية، والنفسية والتعبدية والاجتماعية.

من خلال ما سبق نرى كيف ركز ابن أبي جمرة في شرحه بهجة النفوس على أهمية العقيدة والتوحيد أولا، فهما الأصل الأول في البناء الإسلامي، وهما الركيزة التي بدأ بها النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى وفي تربية الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مبدأ لكل مسلم في تربية نفسه وولده.

3.3الأصل التعبدي: العبادة صلة تربط العبد بخالقه، مما يجعله يراقب نفسه سرا وعلنا، فتستقيم أخلاقه وأفعاله، وتتزكى نفسه من الرذائل، والعبادة بمختلف أنواعها لها الأثر الكبير في صلاح الفرد والمجتمع، ويعرفها ابن أبي جمرة بقوله:"هي قهر النفس وخروجها عن راحتها وحملها على المجاهدات والدوام على ذلك مع قوة شهوات النفوس" (جمرة، صفحة 266/1).

والعبادة لها دور أساسي في تربية المسلم تربية صالحة، تعود عليه وعلى مجتمعه بالخير والصلاح، فهي من أكبر موجبات خير الدنيا والآخرة، وبها تتحقق سعادة العبد في الدارين، يقول ابن أبي جمرة :"إن أعمال الخير دالة على سعادة الشخص يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ** (البخاري، 1993م، صفحة 517/2)، فجعل موجب الظل تلك الأعمال" (جمرة، صفحة 263/1).

وتفكر العبد في لطف الله تعالى به وتسخير له ما لا يحصى من النعم يسهل العبادة عليه، يقول ابن أبي جمرة:"فإنه إذا رأى العبد قدر هذا اللطف به من هذا المولى الجليل الغني المستغني سهلت عليه العبادة" (جمرة، صفحة 203/1).

وتقع مسؤولية تعليم العبادات للطفل على الوالدين، بتعويده عليها منذ صغره، والتدرج في تعليمه وتشجيعه وتحفيزه على أدائها، والتربية التعبدية ليست مجرد تعليم العبادات والشعائر فقط، بل هي تؤسس لجيل صالح قوي من خلال زرع الأخلاق الحسنة في الطفل، وتهذيب سلوكه، وتقوية علاقته بربه، قال ابن أبي جمرة:"فإن الذي يجب عليه زائدا على ذلك حفظهم في دينهم حتى يحملهم عليه فرضه وندبه كل على وجهه" (جمرة، صفحة 18/2)، ونجد ابن أبي جمرة يؤكد على تحميل كل من استرعاه الله مسؤولية تعليم الرعية أمر دينهم وعباداتهم، ويؤكد على ذلك في أكثر من موضع، فيقول:"لكل راع أن يتفقد رعايته في أمر دينهم هل يوفون أم لا فإنه مسؤول عنهم" (جمرة، صفحة 18/2).

4.3الأصل الأخلاقي: يعد الأصل الأخلاقي من أهم الأصول في البناء الإسلامي للفرد، وهو يكمل التربية العقدية والتعبدية، فغرس القيم والأخلاق في الفرد وتنمية سلوكه من أهم أهداف التربية، ويعرف ابن أبي جمرة التربية الأخلاقية بقوله:"ويكون الأدب لتهذيب الطباع وحسن الخلق في التصرف والمعاملات والزجر عن المكروهات في الأقوال والأفعال وتعليم مكارم الأخلاق" (جمرة، صفحة 179/3).

ويبين لنا ابن أبي جمرة أن تربية الطفل على الأخلاق الحسنة تكون برفق، حتى تنغرس وتتجذر في نفسه، فيقول:"وأما الحسن في الأدب فهو أن يحملها برفق دون عنف" (جمرة، صفحة 55/2)، لقوله ﷺ:**ما كان الرفق في شيء إلا زانه** (مسلم، 1374هـ، صفحة 2004/4)، وبينت لنا الشريعة الإسلامية كيفية تأديب الطفل وطرقه وحدوده عند الانحراف، فتأديب الطفل يكون بالشيء اليسير، ولا يكون بالضرب المبرح، فالتأديب إنما يكون بما يُقوم الانحراف ويعدل السلوك، قال ابن أبي جمرة:"الأدب الشرعي للصغير إنما هو بالشيء اليسير مثل السوط مرة وفتل الأذن مرة" (جمرة، صفحة 55/2).

ولتربية وتأديب الأبناء الأجر العظيم والثواب الكبير، قال رسول الله ﷺ:**لَأَنْ يُؤَدِّبَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ طعام** (الترمذي، 1395هـ، صفحة 337/4)، قال ابن أبي جمرة:"وما يؤلم الولد يؤلم القلب فجاء أدبه الذي يؤلم ابنه الذي به يتألم قلبه أرفع له من صدقة صاع من طعام لأنه أشق على النفس" (جمرة، صفحة 55/2).

ونقل لنا ابن أبي جمرة عن أخلاق النبي ﷺ الكريمة مع الكبار والصغار في شرحه، نذكر منها جبره لقلوب الصحابة رضي الله عنهم، جاء في حديث أَبِي بَكْرَةَ: **أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: (زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدْ)** (البخاري، 1993م، صفحة 271/1)، قال ابن أبي جمرة:"أفضل السرور عندهم رضي الله عنهم دعاؤه ﷺ لهم فجبره ﷺ بإدخال السرور عليه لما رأى من انكسار قلبه عند إخباره بما صنع وهو لا يعلم ما حكم الله فيه" (جمرة، صفحة 14/2)، وكان ﷺ رفيقا بهم أيضا في الصلاة، جاء في الحديث:**(إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ)** (البخاري، 1993م، صفحة 228/1)، قال ابن أبي جمرة:"وفيه أيضا وجه من وجوه الرفق وكان ﷺ بالمؤمنين رحيما وهو ربما يكون هناك ضعيف فيقوم عند سماع الإقامة فقد يتأخر ﷺ لوجه ما" (جمرة، صفحة 256/1).

وكان ﷺ حسن الخلق مع الصغار، متواضعا معهم يركب معهم على دابة واحدة، ويشهد لحسن خلقه أنس رضي الله عنه:"**فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا**" (البخاري، 1993م، صفحة 1018/3)، قال ابن أبي جمرة:"فيه دليل على حسن خلق النبي ﷺ" (جمرة، صفحة 117/3)، وكان ﷺ حسن الخلق أيضا مع نسائه، وتنقل لنا عائشة رضي الله عنها كيف تركها النبي ﷺ يوم العيد تنظر إلى لعب الرجال بآلات الحرب، فقالت:"**فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَيَقُولُ: (دُونَكُمْ بَنِي أَرْفِدَةَ)، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: (حَسْبُكِ). قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاذْهَبِي)** (البخاري، 1993م، صفحة 323/1)، قال ابن أبي جمرة:"قولها فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ فيه دليل على تواضع النبي ﷺ وحسن خلقه" (جمرة، صفحة 151/3).

أكد ابن أبي جمرة في شرحه بهجة النفوس على أهمية الأخلاق من خلال بيان أخلاق النبي ﷺ، فلا يكاد يخلو موضع يشرح فيه الحديث إلا ونجده يستنبط منه خلقا للنبي ﷺ، أو للصحابة رضي الله عنهم، وذلك يدل على أهمية الأخلاق لكل مسلم في تربية نفسه وأولاده.

5.3الأصل العلمي:

1.5.3فضل العلم وأهميته: إن أفضل العلوم على الإطلاق هو العلم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فشرف العلم بموضوعه، يقول ابن أبي جمرة:"أفضل العلوم علم الكتاب والسنة" (جمرة، الصفحات 121/1-161)، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة هما الأصل الأول لتربية العبد وصلاحه، وهما المنبع لكل خير، فمن اهتدى بهديهما صلح حاله وحسنت تربيته، ومن خالف أوامرهما ساء حاله، يقول ابن أبي جمرة:"من تمسك بهما فقد **نجى** ومن خالفهما فقد **هوى**" (جمرة، صفحة 161/1).

ومتى انتشر العلم انتشر الخير والصلاح في المجتمع، وذلك لا يكون إلا عن طريق العلماء، فهم الذين يرشدون الناس إلى منابع الخيرات، يقول ابن أبي جمرة:"أن العالم ما دام بين أظهر الناس دام به الخير وأن الجاهل إذا كان مكانه وقع به الضلال والهلاك" (جمرة، الصفحات 170/1-181).

ولذلك فالمسلم مطالب بالعلم أولا ثم العمل، حتى يكون عمله حسنا وأقواله حسنة، وقدوتنا في ذلك الصحابة رضي الله عنه، حيث كانوا لا يعملون شيئا حتى يتعلمونه ويسألون عنه النبي ﷺ، فعن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قَالَتْ: **قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: إن أمي قدمت وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: (نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ)** (البخاري، 1993م، صفحة 924/2) ، فأسماء رضي الله عنها لم تصل أمها حتى سألت وتعلمت، قال ابن أبي جمرة:"فلم تصل أمها حتى استفتت النبي ﷺ فسألته وتعلمت وحينئذ عملت" (جمرة، صفحة 207/3).

ويحث ابن أبي جمرة الآباء على الجِد في فهم الحديث والقرآن، لما فيهما من الخير والصلاح، والعمل بما جاء فيهما، فيقول:"يجب الجد في فهم الحديث والكتاب لما فيهما من الخير وينبغي لكل من له ولاية على رعية أن ينظر كيف يجلب لهم الخير بحسن إرشاد منه اقتداء بهذا السيد ﷺ" (جمرة، صفحة 144/2).

ومن الأسباب المانعة في تحصيل العلم الحياء والتكبر، قال ابن أبي جمرة:"لا يحرم طالب العلم إلا من وجهين: إما من الكبر أو من الحياء" (جمرة، صفحة 19/2)، قال ﷺ:"**نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ**" (البخاري، 1993م، صفحة 60/1).

ومن أهم أسباب تعلم العلم هو العمل به، يقول ابن أبي جمرة:"وأنجح الوسائل في التفقه تقديم العمل"، (جمرة، صفحة 121/3)، وقال:"ليس الفائدة في العلم نفسه وإنما الفائدة في العمل به" (جمرة، الصفحات 33/4-141).

ولتحصيل العلم لابد من توفر ثلاث عناصر للعملية التعليمية وهي: المعلم الجيد الحاذق والمتعلم المتأدب بآداب طلب العلم، وطريقة جيدة للتعليم، وابن أبي جمرة يفصل في ذلك من خلال شرحه للأحاديث النبوية، ويرسم لنا محتوى تعليمي وتربوي يتضمن هذه العناصر الثلاثة المتكاملة، فنجده يستنبط استنباطات تربوية تعليمية دقيقة تخص كل عنصر، ويبين خصائص كل عنصر لضمان تحصيل جيد للعلم.

2.5.3خصائص المعلم: استنبط ابن أبي جمرة العديد من الخصائص التي يجب أن يتحلى بها المعلم، سواء المتعلقة به أو بطريقة التعليم، ونقتصر على ذكر بعض منها:

1.الرفق في التعليم: الرفق خلق رفيع وأسلوب فعال في التربية والتعليم، واستعمله الرسول ﷺ لتعليم صحابته وتوجيههم، فمنها عذره للمرأة التي جاءت تتعلم الطهر من المحيض، فلم يعنفها عندما أعادت السؤال ولم تفهم، بل رفق بها، عن عائشة رضي الله عنها:"**أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ الْمَحِيضِ؟ قَالَ:(خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَوَضَّئِي ثَلَاثًا)، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَحْيَا، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، أَوْ قَالَ: (تَوَضَّئِي بِهَا)، فَأَخَذْتُهَا فَجَذَبْتُهَا، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ**" (البخاري، 1993م، صفحة 119/1)، استنبط ابن أبي جمرة من هذا الحديث استنباطا دقيقا وهو الرفق في التعليم، فقال:"فيه دليل على حمل العذر لمن لا يفهم والسنة أن ترفق به في التعليم" (جمرة، صفحة 199/1).

2.مراعاة اختلاف فهم المتعلمين: فلما كان هناك تفاوت بين المتعلمين في الفهم والاستيعاب، وجب على المعلم مراعاة ذلك، والنبي ﷺ راعى ذلك في التعليم، **قَالَ رسول الله ﷺ: مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ** (البخاري، 1993م، صفحة 2455/6)، فالنبي ﷺ ذكر في بداية الحديث حكم من أكل ناسيا فقط، فقد يأتي في فهم أحدهم أن الشرب لا يدخل في الحديث، فالنبي

ﷺ راع حال المتعلم وفهمه فذكر في آخر الحديث الشرب، فقال فإنما أطعمه الله وسقاه، قال ابن أبي جمرة:"وفيه دليل على أن المتكلم ينبغي له مراعاة من يفهم ومن فهمه بطيء ليجتمع للكل الفائدة المقصودة" (جمرة، صفحة 281/4).

3.إدخال السرور على السائل: وهي قاعدة نفيسة في التعليم، تحفز المتعلم على التحصيل، يمكن للمعلم أن يستعملها مع المتعلمين، عند جوابه لهم، بالثناء على أسئلتهم وعلى حرصهم على التعلم، ثم إجابتهم، فالنبي ﷺ أدخل السرور على أبي هريرة رضي الله عنه عندما سأله من أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة، بقوله أنه حريص على الحديث، ثم أجابه ﷺ عن سؤاله، عن أبي هريرة رضي الله عنه: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَقَدْ ظَنَنْتُ – يَا أَبَا هُرَيْرَةَ – أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)** (البخاري، 1993م، صفحة 49/1)، يؤصل ابن أبي جمرة لهذه القاعدة التعليمية باستنباطها من الحديث السابق فيقول:"في هذا دليل على أن من السنة إدخال السرور على السائل قبل رد الجواب عليه لأنه ﷺ قدم قوله لقد ظننت على رد الجواب عليه" (جمرة، صفحة 159/1).

4.حسن الطريقة في التعليم: فالمعلم الجيد من يستعمل الطريقة الجيدة والمناسبة للتعليم، فينوع في أساليب التعليم، لتترسخ المعلومات في ذهن المتعلم، وأشار ابن أبي جمرة إلى العديد منها في شرحه بهجة النفوس، ونقتصر على ما يأتي:

أ.الإجمال ثم التفصيل: وهو طرح المسألة مجملة وتقسيمها إلى أقسام، ثم تفصيل كل جزء وشرحه، والنبي ﷺ استعمل هذه الطريقة في تعليمه للصحابة رضي الله عنهم، ومثاله قال رسول الله ﷺ: **الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ** (البخاري، 1993م، صفحة 1050/3)، يستنبط ابن أبي جمرة من هذا الحديث هذه القاعدة التعليمية فيقول:"فيه دليل على جواز التقسيم قبل التفسير والبيان لأنه ﷺ قسم الخيل على ثلاثة أقسام ثم بعد ذلك فسر ما قسم" (البخاري، 1993م، صفحة 147/3)، ويبين ابن أبي جمرة فائدة هذه الطريقة في التعليم، فالتقسيم فائدته الحفظ، وللتفصيل فائدة أخرى وهي الفهم، فيقول:"من الأحسن في الإخبار والتعليم الإجمال أولا من أجل الحفظ والتقسيم بعد من أجل التفهيم" (جمرة، صفحة 221/1)، وأيضا من فوائد ذلك شذ ذهن المتعلم، مما يسهل عليه المتابعة والتعلم، قال ابن أبي جمرة:"وإلقاء العالم المسائل على تلامذته وحينئذ يبين لهم لأن في ذلك من الفائدة إحضار الذهن لقبول العلم" (جمرة، صفحة 177/4).

ب.التعليم بالفعل: لما كان التعليم بالفعل أبلغ من التعليم بالقول، كان الرسول ﷺ يعلم الصحابة رضي الله عنهم أمور دينهم بالفعل، فالسلوك العملي للرسول ﷺ رسخ العلم في نفوسهم، ومثال ذلك تعليمه ﷺ أحكام السجود بالفعل، لأن ذلك أرسخ من القول، جاء في حديث سجود السهو:"**وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ، يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: (لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ). فَقَالَ: (أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ). فَقَالُوا: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ**" (البخاري، 1993م، صفحة 182/1)، قال ابن أبي جمرة:"فيه دليل على أن تبيين الحكم بالفعل أرفع منه بالقول، ولولا ذلك لكان ﷺ حكم بالسهو بالقول" (جمرة، صفحة 228/1).

ج.التكرار ثلاثا: هو أسلوب تعليمي فعال، لترسيخ المعنى في ذهن المتعلم وشذ الانتباه لأمر مهم، فالرسول ﷺ إذا كان الأمر عنده له بال يكرر القول به ثلاثا، وهو كثير في السنة النبوية، ومثاله قوله ﷺ **يَا مُعَاذَ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ يَا مُعَاذ بن جبل:" هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِه وَمَا حَقُّ العبَاد عَلَى اللَّه** (البخاري، 1993م، صفحة 2224/5)، قال ابن أبي جمرة:"وفي تكراره ﷺ نداءه ثلاثا تأكيد في حضور ذهنه وإشعار بأن الذي يلقي إليه له بال" (جمرة، صفحة 176/4).

د.ضرب المثل للفهم: وهو أسلوب تعليمي يستعمل لتقريب المعنى إلى ذهن السامع والمتعلم، والنبي ﷺ يضرب لنا في تعليمه للصحابة العديد من الأمثلة، حتى يفهم الصحابة رضي الله عنه ويرسخ الفهم عندهم، عن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ:**سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ:** (**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**) (البخاري، 1993م، صفحة 535/2)، قال ابن أبي جمرة:"فيه دليل على جواز ضرب المثل فيما لا يمكن السامع أن يعقله حتى يعلم أنه يعقله من الأمثلة التي يغلب على الظن أنه يعرفها، لأن الغالب من الناس لا سيما في زماننا لا يعرفون البركة إلا بالشيء الكثير فأراد ﷺ أن يبين لهم بالمثال الذي يعرفونه" (جمرة، صفحة 167/2).

ه.الجواب بأكثر من السؤال: وكان من منهجه ﷺ في التعليم هو الجواب بأكثر مما سئل، مثال قوله ﷺ حين سئل عن طهارة ماء البحر فقال: **هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ** (مالك، 1991م، صفحة 24/1)، قال ابن أبي جمرة:"فأجاب بأكثر مما سئل عنه لأن الحاجة دعت إليه" (جمرة، صفحة 119/1).

و.التعليم بالاستفهام: وهو أسلوب تربوي تعليمي استخدمه النبي ﷺ في التعليم، وله أهداف عديدة، وأوضح ابن أبي جمرة هدفين لاستفهام النبي ﷺ، فأحيانا يسأل ﷺ وهو يدري أن الصحابة يعلمون ما سألهم، وهدفه ﷺ التيقن التام أنهم عرفوا المسألة، ومثاله ماجاء في حديث رسول الله ﷺ: **وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ، مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ** (البخاري، 1993م، صفحة 278/1)، قال ابن أبي جمرة:"فيه دليل على أن المعلم يسأل من علمه عن ما يَعرف أنه يُعرف حتى يتيقن بالتحقيق أنه قد عُلم" (جمرة، صفحة 31/2)، وأحيانا يسأل ﷺ الصحابة السؤال وهم لا يعرفون الإجابة، ومثال ذلك سؤاله ﷺ لمِعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: **هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ** (البخاري، 1993م، صفحة 2224/5)، ووضح ابن أبي جمرة أن هدف ذلك شد انتباههم وحضور أذهانهم للتعلم بسرعة، فقال:"إن المتعلم إذا أُستفهم ولم يكن له علم بما يلقى إليه يصغي إذ ذاك لما يقال ويأخذه بأهبة فيكون أسرع في التعلم وأحد للذهن" (جمرة، صفحة 145/3).

3.5.3آداب المتعلم: وضع ابن أبي جمرة آدابا للمتعلم، وهي آداب تتعلق بتعامله مع معلمه، وآداب في طريقة التعلم، وأشار ابن أبي جمرة في شرحه إلى العديد منها، ونقتصر على أربع منها:

1.حسن السؤال: فمن آداب المتعلم أن يسأل إلا الأسئلة النافعة، التي تعود عليه وعلى غيره بالمنفعة، وأحسن الأسئلة جاءت على ألسنة الصحابة رضي الله عنهم، ومثاله لما سأل الصحابي رضي الله عنه الرسول ﷺ أن يخبره عن أول مسجد وضع، فأجابه عن ذلك ولحسن السؤال زاده ﷺ أن جعلت الأرض لنا مسجدا وطهورا، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ:** (**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**). **قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:** (**ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى**)، **قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ:**(**أَرْبَعُونَ، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ**) (البخاري، 1993م، صفحة 1231/3)، استنبط ابن أبي جمرة من هذا الحديث قاعدة تعليمة وهي أن حسن السؤال أدب من آداب طالب العلم، فقال:"حسن النية في السؤال تعقب زيادة خير على ما قصده" (جمرة، الصفحات 53/4-356)، وقال:"من أدب العلم حسن السؤال" (جمرة، صفحة 156/1)

2.التأدب عند مراجعة المعلم: ومن حسن التعلم والحرص على العلم، مراجعة المتعلم للمعلم إذا بقي إشكال لم يعرفه أو لم يفهمه، ويكون ذلك بأدب، فالصحابة رضي الله عنهم استفهموا بقولهم اليهود والنصارى؟ ليزول اللبس عندهم، وراجعوا النبي ﷺ، فسؤالهم كان سؤال استرشاد

وتثبت، **قال رسول الله ﷺ**: (**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**). **قُلْنَا**: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ**: (**فَمَنْ**) (البخاري، 1993م، صفحة 1274/3)، قال ابن أبي جمرة:"وفيه دليل على مراجعة العالم إذا بقي في كلامه على السامع احتمال" (جمرة، صفحة 65/4).

3.التعلم وقت الهمة: يؤكد ابن أبي جمرة في شرحه على أهمية الحرص على الوقت، وذلك بتعميره بما ينفع العبد، ويخص المتعلم وطالب العلم ببعض من النصائح، وذلك بأن يستغل وقت علو همته ونشاطه، فيقبل على التعلم، ويحرص على الطلب، لأنه أرسخ ما يكون، ويحثه على الترك وأخذ الراحة وقت الكسل، ليريح نفسه وتقبل بأهبة ونشاط من جديد على طلب العلم، فيقول:"التعلم إنما يكون مع الباعث من المتعلم وإن عدم الباعث منه فالترك إذ ذاك لكي تجم النفس ثم تأخذه بأهبة، ولأن التعلم مع الكسل قل أن يتأتى منه المقصود" (جمرة، صفحة 152/3).

4.التأدب والاحترام للمعلم: ومن الخصائص التي يجب أن يتحلى بها المتعلم هو احترام معلمه وتوقيره، والتأدب معه في الطلب بعدة أمور منها ترك السؤال لغير الضرورة، وترك الإلحاح عليه وغيرها الكثير، فعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عندما سأل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال، سأله ثلاث مرات، وترك في الرابعة مع علمه أنه لو سأل النبي ﷺ للمرة الرابعة لأجابه، لكنه رضي الله عنه اقتصر على ثلاث مرات تأدبا مع الرسول ﷺ، فقال رضي الله عنه: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ**: (**الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا**). **قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ**: (**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**). **قُلْتُ**: **ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ**: (**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**). **فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي**، (البخاري، 1993م، صفحة 1025/3)، قال ابن أبي جمرة :"فيه دليل على التأديب والاحترام للعلماء، وألا يكثر عليهم في السؤال لغير ضرورة لاقتصاره على تلك الثلاث" (جمرة، صفحة 120/3)، ويقول:"ترك الإلحاح على العالم وهو من الاحترام والتأدب" (جمرة، صفحة 120/3).

خاتمة:

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

-بالرغم من أن بهجة النفوس هو شرح لمختصر صحيح البخاري إلا أنه يؤصل للآراء التربوية والتعليمية لابن أبي جمرة.

-أصول التربية عند ابن أبي جمرة تتعدد، واقتصرنا على بعض منها وهي:

الأصل العقدي: ويرى ابن أبي جمرة أنه الأصل الأول في تربية النفس، وعليه تبنى بقية الأصول، الأصل التعبدي: ويبين أن العبادة ليست رابطة فقط بين العبد وربه، بل لها دور كبير في تربية النفس وتهذيبها، الأصل الأخلاقي: حيث أكد على أهمية الأخلاق من خلال بيان أخلاق النبي ﷺ، فلا يكاد يخلو موضعا يشرح فيه الحديث إلا ونجده يستنبط منه خلقا للنبي ﷺ، لنتأسى به ونربي أنفسنا على هديه، الأصل العلمي: حيث بين أهمية العلم وفضله وأن العلم قبل العمل.

-الأصل العلمي يتضح جليا وبشكل أكبر في شرح بهجة النفوس، فكثيرا ما نجد ابن أبي جمرة يستنبط أثناء شرحه للحديث استنباطات دقيقة لمبادئ تربوية وتعليمية هامة، وآدابا نافعة للمعلم والمتعلم، وطرقا وأساليب للتعليم.

-لابن أبي جمرة فكر تربوي وتعليمي هام من شأنه أن يثري الفكر التربوي الإسلامي.

وفي الأخير نوصي الباحثين باستكمال البحث في الأصل الاجتماعي والنفسي، لتكتمل الصورة عن أصول التربية عند ابن أبي جمرة.

.المصادر والمراجع:

ابن أبي جمرة. (بلا تاريخ). بهجة النفوس. القاهرة. مصر: المكتبة التوفيقية.

ابن الحاج. (بلا تاريخ). المدخل. القاهرة. مصر: مكتبة دار التراث.

ابن الملقن. (1973م). طبقات الأولياء. القاهرة. مصر: مكتبة الخانجي.

ابن حجر. (1380هـ). هدي الساري مقدمة فتح الباري. مصر: المكتبة السلفية.

ابن حجر. (1390هـ). فتح الباري. مصر: المكتبة السلفية.

ابن حجر. (1930م). الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. حيدر آباد. الهند.

ابن كثير. (1988م). البداية والنهاية. دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور. (1993م). لسان العرب. بيروت. لبنان: دار صادر.

أحمد مختار عمر. (2008م). معجم اللغة. القاهرة. مصر: عالم الكتب.

الأزهري. (2001م). تهذيب اللغة. بيروت. لبنان: دار إحياء التراث العربي.

الأصفهاني. (1991م). المفردات. دمشق. سوريا: دار القلم.

البابابي. (1402هـ). هدية العارفين. بيروت. لبنان: دار الفكر.

البخاري. (1993م). الصحيح. دمشق. سوريا: دار ابن كثير.

الترمذي. (1395هـ). السنن. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

التنبكتي. (1989م). نيل الابتهاج. طرابلس. ليبيا: منشورات كلية الدعوة الإسلامية.

الجرجاني. (1983م). التعريفات. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.

الحاجي خليفة. (1941م). كشف الظنون. بغداد. العراق: مكتبة المثنى.

الحازمي. (1424هـ). التوجيه الإسلامي لأصول التربية. مكة. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى.

الزركلي. (2002م). الأعلام. بيروت. لبنان: دار العلم للملايين.

السيوطي. (1967م). حسن المحاضرة. القاهرة. مصر: دار إحياء الكتب العربية.

العيني. (2010م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. القاهرة. مصر: دار الكتب والوثائق القومية .

الفيومي. (بلا تاريخ). المصباح المنير. بيروت. لبنان: المكتبة العلمية.

النبهاني. (1983م). تاريخ قضاة الأندلس. بيروت. لبنان: دار الآفاق الجديدة.

خزانة التراث. (بلا تاريخ). الرياض. السعودية: إصدار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.

سزكين. (1983م). تاريخ التراث العربي. الرياض. المملكة العربية السعودية: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود.

فاروق حمادة. (2005م). موسوعة أعلام العلماء والأدباء والعرب والمسلمين. الرباط. المغرب: إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

كحالة. (بلا تاريخ). معجم المؤلفين. بيروت. لبنان: دار إحياء التراث العربي.

مالك. (1991م). الموطأ. بيروت. لبنان: مؤسسة الرسالة.

مخطوطات المسجد النبوي الفهرس. (بلا تاريخ). المدينة النبوية. المملكة العربية السعودية: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

مسلم. (1374هـ). الصحيح. القاهرة. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

References :

Ibn Abi Jamra. (n.d.). Bahjat al-Nufus. Cairo, Egypt: Al-Tawfiqiyya Library.

Ibn al-Hajj. (n.d.). Al-Madkhal. Cairo, Egypt: Dar al-Turath Library.
Ibn al-Mulaqqin. (1973). Classes of Saints. Cairo, Egypt: Al-Khanji Library.
Ibn Hajar. (1380 AH). Hady al-Sari, Introduction to Fath al-Bari. Egypt: Al-Maktabah al-Salafiyyah.
Ibn Hajar. (1390 AH). Fath al-Bari. Egypt: Al-Maktabah al-Salafiyyah.
Ibn Hajar. (1930 CE). Al-Durar al-Kaminah fi A'yan al-Mi'ah al-Thaminah. Hyderabad, India.
Ibn Kathir. (1988 CE). Al-Bidayah wa al-Nihayah. Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
Ibn Manzur. (1993). Lisan al-Arab. Beirut, Lebanon: Dar Sader.
Ahmad Mukhtar Omar. (2008). Mu'jam al-Lughah. Cairo, Egypt: Alam al-Kutub.
Al-Azhari. (2001). Tahdhib al-Lughah. Beirut, Lebanon: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
Al-Isfahani. (1991). Al-Mufradat. Damascus, Syria: Dar al-Qalam.
Al-Babani. (1402 AH). Gift of the Learned. Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr.
Al-Bukhari. (1993 CE). Sahih. Damascus, Syria: Dar Ibn Kathir.
Al-Tirmidhi. (1395 AH). Sunan. Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi Press.
Al-Tanbakti. (1989 CE). Nayl al-Ibtihaj. Tripoli, Libya: Publications of the College of Islamic Call.
Al-Jurjani. (1983). Definitions. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
Al-Hajji Khalifa. (1941). Kashf al-Zunun. Baghdad, Iraq: Maktabat al-Muthanna.
Al-Hazimi. (1424 AH). Islamic Guidance for the Principles of Education. Mecca, Saudi Arabia: Umm al-Qura University.
Al-Zarkali. (2002). Al-A'lam. Beirut, Lebanon: Dar al-'Ilm lil-Malayin.
Al-Suyuti. (1967). Husn al-Muhadarah. Cairo, Egypt: Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah.
Al-'Ayni. (2010). 'Iqd al-Juman fi Tarikh Ahl al-Zaman. Cairo, Egypt: Dar al-Kutub wa al-Watha'iq al-Qawmiyyah.
Al-Fayumi. (n.d.). Al-Misbah al-Munir. Beirut, Lebanon: Al-Maktabah al-Ilmiyyah.
Al-Nabhani. (1983). Tarikh Qudat al-Andalus. Beirut, Lebanon: Dar al-Afaq al-Jadidah.
Khizanat al-Turath. (n.d.). Riyadh, Saudi Arabia: King Faisal Center for Research and Islamic Studies.
Sezgin. (1983). A History of Arab Heritage. Riyadh, Saudi Arabia: Imam Muhammad ibn Saud University Press.
Farouk Hamada. (2005). Encyclopedia of Arab and Muslim Scholars, Writers, and Figures. Rabat, Morocco: Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization (ALECSO).
Kahala. (n.d.). Dictionary of Authors. Beirut, Lebanon: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
Malik. (1991). Al-Muwatta. Beirut, Lebanon: Al-Risalah Foundation.
Manuscripts of the Prophet's Mosque: Catalogue. (n.d.). Madinah, Saudi Arabia: Madinah Research and Studies Center.
Muslim. (1374 AH). Al-Sahih. Cairo, Egypt: Isa al-Babi al-Halabi Press.